الرومانسية والتجديد لدى جماعة أبولّو

جماعة أبولو:

ثمة عوامل وظروف هيأت لظهور هذه الجماعة الشعرية. من بينها الجدل الذي احتدم بين التيار التقليدي ممثلاً بشوقي وحافظ وأضرابهما والتيار المجدد ممثلاً بشعراء مدرسة الديوان. فقد اتضح من هذا الجدل أن شعر المدرسة المحافظة أو البيانية كما يسميها أحمد هيكل[1] ما هو إلا شعر محاكاة طبع على الخطابية. والإغراق في المناسبات. ولا يخلو من البرود العاطفي، والجفاف الشعري، والتصنّع في الأسلوب، والغرابة في اللفظ، والآليّة في بناء القصيدة بناءً خالياً من التماسك النصّي، والوحدة بمفهوميها العضوي، والنفسي[2].

وثاني هذه العوامل تراجع مدرسة الديوان، فالمازني توقف عن نظم الشعر بعد الذي قيل في شعره. وعبد الرحمن شكري توارى تقريباً عن الحياة الأدبية بعد سنة ١٩٣٨ والعقاد انصرف إلى عبقرياته ودراساته الفكرية، ولم يَعْلَق الكثير من شعره في ذاكرة الناس، ولا حظي بإعجابهم[3].

وثالث هذه العوامل زيادة الانفتاح على الأدب الغربي والتواصل معه عن طريق الترجمة والتعريب أولاً، وعن طريق القراءة المباشرة لهذا الأدب بلغته الإنجليزية أو الفرنسية ثانياً، ويذكر أنّ أحمد زكي أبو شادي مؤسس جماعة أبولو قضى في لندن عشر سنوات درس خلالها الطبّ واطلع على أدب الرومانسيين الإنجليز. وإبراهيم ناجي كان يجيد الفرنسية إجادة تامة وقد ترجم شعراً فرنسياً إلى العربية، ومن ذلك قصيدة البحيرة للشاعر الرومانسي لامارتين[4] ومحمد عبد المعطي الهمشري كان هو الآخر يقرأ الشعر الإنجليزي بلغته الأصلية، وكذلك على محمود طه المهندس الذي ضمّن مجموعته الشعرية «أرواح وأشباح» قصائد مترجمة لبعض الشعراء الإنجليز[5].

وقد غلب على هؤلاء الشعراء الإعجاب بوردزوورث وبيرون Byron وشيلي Shelley

Scanned by TapScanner

وجون كيتس Keats وتشبَّه بعضهم بهؤلاء الشعراء في السُّلوك، ونمط الحياة، وفيما يعتنقه من آراء ومبادىء[٦].

يضاف إلى العوامل السابقة عامل آخر هو التأثُّر بأدب المهجر. فعلى العكس مما يذكره عبد العزيز الدسوقي كان تأثر جماعة أبولو بشعر المهجر كبيراً لأن هذا الشعر كان أكثر انطلاقاً وتحرراً من شعر مدرسة الديوان، وأقل وقوعاً في الذهنية العقلية المجرّدة، وأقوى شعوراً وإحساساً مما يجعله رومانسياً بالفعل وليس بالمحاكاة. ومما يقوّي هذا الاعتقاد أنَّ شعر المهجر ونثره كانا يجدان ترحيباً في مجلات الهلال والرسالة والمقتطف، ومن هنا كان هذا الشعر في رأي بعض الدارسين أكثر تأثيراً في شعر الرومانسية العربية من تأثير مدرسة الديوان[٧].

ولا يفوتنا أن نشير إلى ما للتحولات الاجتماعية من تأثير في ظهور هذا التيار الشعري، فقد تضخّمت في هذه الحقبة - أي من سنة ١٩٣٠ إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ - الطبقة الوسطى، واتسعت المدن، وازدادت أعداد السكان زيادة كبيرة.

والمعروف أنّ ثقافة الطبقة الوسطى، أو البرجوازية الصّغيرة، تقوم على الإحساس القويّ بدور الفرد، وتسعى إلى الثورة لِتَغْنَم بعض المكاسب من الطبقة العليا التي احتكرت السيادة في المجالين السياسي (الحكم) والاقتصادي (السيطرة على وسائل الإنتاج والاستهلاك) وتأكيدها على أنّ المثقف ينبغي أن يعيش في مناخ يكفل له حرّية التعبير، فإنْ لم يتحقق له ذلك انكفأ على نفسه، ومال إلى التشاؤم والحزن والاحباط. وقد أدّى فشل ثورة ١٩١٩ وما تلاه من حوادث انتهت بالانتقاص من حريات الأفراد إلى شيوع نغمة الحزن، والتشبث بِعَالَمٍ أكثر شفافية، وأرحب صدراً، يخترعه الشاعر بنفسه ويرتحل إليه(٨) . وهذا يشحذ همم الشعراء الشبان الذين وجدوا في الرومانسية خيْر مذهب، وفي عقيدتها العاطفية الكئيبة أنْبل هدفٍ وأعزّ مَطْلَب.

ويُذكر أنّ جماعة أبولو أصدرت سنة ١٩٣٢ مجلة باسمها. وفي تلك المجلة نُشرت مقالات تعبّر عن فهم هذا العدد من الشعراء لواجب الشاعر ودوره في الوجود. ولأهداف هذه الجماعة التي سميت في بعض المقالات «مدرسة»، وهي تتلخص في النهوض بالشعر الجديد وتهيئة الظروف ليأخذ موقعه إلى جانب الشعرالتقليدي المحافظ. ومن شعراء هذا

Scanned by TapScanner

الاتجاه: أحمد زكي ابو شادي، وإبراهيم ناجي، وعلي محمود طه الملاح التائه، ومحمد عبد المعطي الهمشري، وصالح جودت، وحسن كامل الصّيرفي، وكلهم من مصر، وأبو القاسم الشابي وهو من تونس، إضافة إلى خليل مطران الذي ترأس الجماعة بعد وفاة شوقي.

وكي لا يطول بنا الحديث عن هذه الجماعة وشعرها بعد أن عرفنا ما عرفنا عن الشعر الرومانسي من خلال الفصلين السابقين حول شعر المهجر وجماعة الديوان فسيقتصر حديثنا على ثلاثة من شعراء الجماعة المصريين وهم: إبراهيم ناجي، وعلي محمود طه، ومحمد عبد المعطي الهمشري، وشاعر رابع من تونس هو أبو القاسم الشابي.

Scanned by TapScanner

اتجاهاتها الشعرية

عني شعراء أبولو عناية فائقة بمضمون القصيدة ، وتجلت هذه العناية من الاتجاهات التي تهدف الى العناية بالانسان ، وتصوير عواطفه وتجسيد واحترام حريته ، كما تسعى الى تحقيق نزوعه الى التأمل ، وتفسير الطبيعة والى تأكيد نزعته الانسانية .

وقد حققت هذه المضامين طموحات هؤلاء الشعراء في تطوير فكر العربية ، والسعي الى هجر الموضوعات القديمة التى اقتصرت على المعاني

ويستطيع الدارس لشعر هؤلاء ان يضع يده على مجموعة من الاتجاهات وأهمها : ١ الاتجاه العاطفي ٢ والاتجاه التأملي ٣ والاتجاه الوصفي .

الاتجاه العاطفي :

وتهدف قصائده الى التعبير عن ذات الشاعر وتجسيد عواطفه في وشعوره بالضياع ، والسعي وراء الاحلام والبكاء على ماضاع منها وتش

وحديث الشاعر عن نفسه ، والاستسلام لاحلامه الضائعة وطموحاته البي أسلمته الى الحزن واليأس والتشاؤم ، وانتهت به الى القنوط والانطواء والم ووصف الهواجس النفسية .

وتقترب قصائد هذا الاتجاه من الاتجاه الرومانسي الحالم الذي شاع في أ ابان القرن التاسع عشر . ووصلت طلائعه الى شعر جماعة الديوان . وبخ عبدالرحمن شكري الذي مهد لشعراء أبولو بهذا التيار الوجداني الفردي الغا (ويبدو ان المضمون الرومانسي او الوجداني لشعرهم ، لم يستنفد ما في نفوسهم حزن والم وحنين وطموح مضطهد ، فلجأوا الى التعبير الرمزي ليشعل لهم المنا المظلمة في نفوسهم ، وهم يسبرون غورها ليوحوا الى القاريء بما فيها من المعاني لا يمكن ادراكها الاّ عن طريق الرمز والايحاء)(١٠)

وعلى الرغم من أن شعراء أبولو لم يتمذهبوا بالرمزية على غرار هذا المذهب اوربا ، الاّ ان بعضهم قد التمس هذا الاسلوب حين وجد اللغة المباشرة والص

Scanned by TapScanner

الحسية عاجزة عن تجسيد مشاعره العميقة وعالمه في الاحلام والرؤى ، ومايحتدم في نفسه من عالم اللاشعور . وكان اعجابهم بما قرأوه للشعراء الرمزيين وفي مقدمتهم بودلير وملارميه ، واعجابهم أيضاً بمجموعة من شعراء المهجر الذين سبقوهم الى هذا الاتجاه ، كل ذلك قد حدا بهم الى ان يسلكوا طريقه سعياً الى الكشف عن أعماق مشاعرهم وتجاربهم .

وهكذا راح أبو شادي وناجي والمهشري والشابي وحسن كامل الصيرفي ومحمود حسن اسماعيل وغيرهم يركبون صعاب هذا الاسلوب ليشكل في شعرهم ظاهرة من أشد ظواهره الفنية . ولعل قصيدة أبي شادي (بحر السماء) تستطيع ان تؤكد هذه الظاهرة . ويقول فيها :

هتفت بي الاضواء فاستيقظت من نومي على قلق من الاضواء
ونظرت في افق السماء فلم اجد الاّ حديث الموج والدأماء
السحب تجري في اصطخاب الموج لا ترضى بهذا لحظة لندائي
ناديتها ، فتلفتت ، لكنه كتلفت الاطياف للشعراء
لاتستقر هنيهة وتسير في لهف كوثب الموج فوق الماء
وكأنما الزمن العجيب يسوقها كالخيل في ركض وطول عناء
تخشى سياط الدهر يجري خلفها فالدهر قاسٍ دائماً ومرائي
وتغيب في بحر السماء كما مضى حلمي وأنفاسي ووحي رجائي

ولاخلاف في أن الشاعر في هذا النص ، قد قصد الى تصوير حالته النفسية من خلال الرمز الذي أضفى رقة وجمالاً وسحراً عليه ، خصوصاً في ماحققه الايقاع اللفظي الذي صنعته مجموعة من العبارات الموحية المشعة ، من مثل (الاضواء) و (أفق السماء) و (حديث الموج) و (أصطخاب الموج) و (تلفت الاطياف) و (سياط الدهر) . وغيرها من العبارات والالفاظ التي تحتشد احتشاداً لطيفاً مقصوداً . وكذلك من ماحققته الابيات من وحدة عضوية ترتبط بخيط فكري لاتكاد النفس تقع عليه في بيت أو بيتين ، وانما تستشعره من صور القصيدة كلها .

وقد حقق هذا الابهام الرمزي جواً نفسيا قصد اليه الشاعر قصداً ليوحي به الى القاريء بحالته النفسية المحطمة ، وليشعرنا بكل مايعانيه من تمزق .

والواقع ان الرومانسيين قد قصدوا بهذا الرمز ، الى التعبير عن مكنونات نفوسهم التي اكتوت بنار الحب التي كانت لهم فيه تجارب عائرة ، ومن هنا كانت عميقة الاثر في حياتهم بحيث ان اللغة المباشرة لم تعد قادرة على التعبير عن جراحات قلوبهم التي أدمتها تجاربهم الفاشلة وحظوظهم العائرة .

Scanned by TapScanner

وعلى الرغم من أن كثيرين من شعراء أبولو قد استخدموا الرمز ، تعبيراً عن مواجدهم العاطفية ، الاّ ان شاعرين اثنين منهم قد شكل لديهما هذا الرمز طابعاً وتياراً ملحوظاً ، أولهما ابراهيم ناجي وثانيهما محمد عبدالمعطي الهمشري .

والذي يهمنا من هذا الرمز ، هو انه قد مثل في القصيدة العربية الحديثة اتجاهاً جديداً ، بما حققه من استخدامات جديدة في الالفاظ والعبارات والتراكيب والصور ، وبما طوّره في علاقات الالفاظ في المجاز والاستعارة والكناية وغيرها من صور البلاغة ، فقد أفاد شعراء أبولو من نظرية تراسل الحواس التي شاعت لدى شعراء الرمز ، وهي النظرية التي تتبادل في ظلها الحواس ، كان تتعاوب الالوان والعطور والاصوات .

ان الاستعمالات الجديدة التي حققها شعراء أبولو جراء استخدامهم أسلوب الرمز ، قد أغنى لغة الشعر وتصويره بما لم يستطع ان يحققه حتى شعراء الديوان الذين مهدوا لهذا التيار ، وحققوا للقصيدة العربية الحديثة كثيراً من الثراء . وكان نتيجة هذا ، استخدام شعراء أبولو الكثير من التعبيرات الجديدة والتراكيب الغريبة ، من مثل : (حلم الخيال) (رياض من الخيال) (أشعة المساء) (ضفاف الخيال) (أشعة المساء) (دهاليز الظلال) (الازهار تحلم في الليل) (معبد الخيال) (الافق الوضيء) (معبد الاحزان) (غياهب الروح) (طلول الحياة) (عالم الشتاء) (المساء يسرق عطراً) (الدفء المنوّر) (طيوف الجمال) (خيمة الفناء)[11]

وقد اقتصر هذا الاتجاه العاطفي على تجسيد التجارب الذاتية الفردية ، وذلك لان تيار الرومانسية العربية بالذات قد طبع بهذا الطابع الفردي ، لان تجارب الشعراء العاطفية قد تعثرت عند معظمهم ، ومن هنا انشغل كل منهم بنفسه يعالج حظه العاثر في الحب وقد نكفأ كل منهم على نفسه يبكي ما آل اليه مصيره . وانتهت اليه حياته ، حتى تحول لدى كثيرين احباطاً نفسياً شديداً . ويقف ناجي في مقدمة من نزعوا هذه النزعة .

واذا كانت تجارب شعراء أبولو العاطفية ، قد انتهت بهم الى الفشل والشعور بالملل من الحياة ، جراء تعثر الحب ، فان ذلك قد دفع ببعضهم الى ان يلجأ الى المرأة ، يرمي نفسه بين أحضانها والاستمتاع بها استمتاعاً حسياً . ظنا منهم أن في هذا تعويضاً عن احباطهم في تجاربهم . ومن هؤلاء صالح جودة وعلي محمود طه وحسن كامل الصيرفي . غير ان هذا لم يشكل ظاهرة كتلك التي حملت من الحب

(11) ينظر المرجع السابق/ ٤١٩

Scanned by TapScanner

نزعة مثالية ترتفع بفكرة الحب الى التسامي والمثالية ، لذلك فان التعبير عنه تجارب الحب عند هؤلاء ظل متسامياً سمو الحب العفيف الذي حلق بشعر الجماعة الى المثالية وسما بها سمواً لا نظير له في شعرنا العربي الحديث .

الأتجاه التأملي

لم يقف تعبير شعراء ابولو عن تجاربهم العاطفية ، بينهم وبين تطلعهم الى التأمل والتفلسف في الحياة والكون والطبيعة .

وربما كان ارتفاع تجاربهم العاطفية الى مرتبة السمو في الحب ، هو الذي قادهم أحياناً الى التأمل ، ليكتشفوا به ذواتهم .

وعلى الرغم من أن التأمل بالشعر قد شاع عند العرب في عصورهم المتقدمة خاصة ، وأنه قد شكل ظاهرة ملحوظة في شعر جماعة الديوان وشعر شعراء المهجر ، الاّ أنه قد حقق في شعر جماعة أبولو ظاهرة لا تخلو من الجفاف العقلي وربما كان للتدفق العاطفي الذي لازم شعر هذه الجماعة هو الذي خفف من هذا الجفاف الذي ألمحنا اليه .

وقد تلون شغرهم التأملي بالقتامة ، وتميز بالتشاؤم . وتلفع بالسواء ، وعبر عن حيرة نفوسهم وتمردهم على الحياة وعلى المجتمع . وربما قادهم الى الاستسلام في آخر الأمر ـ كما حدث لعبدالرحمن شكري من قبل .

فهذا هو محمد عبدالمعطي الهمشري ، يعبر عن حيرته ، وتيهه في صحراء الحياة فيقول :

انا نحن كوكب ضل في تيه صحراء مقوم تائهين
قد نسينا كل ماكان لنا وتركنا في غد ماسيكون

وينتهي التفكير بالموت بالشاعر صالح جودة الى الحيرة ثم الشك :

قد حرت في الموت وفي أمره وما زداه الله في سره
وكلما سألت عنه أمراً أجابني والله لم أدره
فلم يقول الناس مات امرؤ إن هاجر لدينا الى قبره؟

وربما كان مبعث تأملهم ، قلقهم الاجتماعي . وتمزقهم النفسي . فقد كان شعراء

Scanned by TapScanner

أبولو كأمثالهم من الشعراء الرومانسيين ، يكثرون الخلوة الى انفسهم ويبدأون هدأت الليل يفكرون وقد قادهم تفكيرهم الى مناقشة الظواهر الكونية التي تتسعها عقولهم ، فيحارون مايفعلون ، وربما كان السبب في هذا ، فضولهم وتأملهم الفلسفي إزاء الخلق والطبيعة واللون ومايتصل بها من حياة وموت لا يستطيعون لها فهماً ، أو الى حقائقها وصولاً .

ويتزامن مع هذا التأمل . خيبة آمالهم الشديدة ، وضياع أحلامهم الوا حتى ينتهي بهم ذلك الى احباط وشعور بالملل واليأس . لذلك كثر حديثهم عن هذه المعاني ، التي جسدوها بأفكار متشابهة المواقف ، وكلها تأمل في الـ والاحياء والطبيعة وأسرار الوجود ومصير الانسان الى الفناء والموت .

ومن هذه القصائد (بين الحياة والموت) لمحمود عماد . و (شاطيء الأعرا لمحمد عبد المعطي الهمشري . و (اللغز) لحسن كامل الصيرفي . و (السعادة) ل القاسم الشابي و (أنت الله) لصالح جودة . و (وحدة الوجود) لرمزي مفتا (الخلود) لأحمد زكي أبي شادي . على أن هذه الروح الشاكية المستسلمة، قابلتها مواقف حادة عبر بها الشعراء عن ثورتهم وتمردهم ، وهي مواقف ربما من قلقهم وحيرتهم . فراحوا يناقشون ويرفضون ويحتجون على مالا تقتنع به عق أو تأنس اليه نفوسهم .

وتقف قصيدة (الراهب المتمرد) لصالح جودة في مقدمة هذا التيار الذي ينزع منزعاً سلبياً إزاء حقائق الحياة والكون والخلق والطبيعة .

والقصيدة تمثل تمرد الشاعر على الطقوس والعبادات ، وتشككه من الموت موقف قاده - كما ذكرنا - قلق الشعراء إزاء الحقائق الكونية وأسرا الدقيقة . وقد سبق الى مثل هذه المواقف شعراء الديوان مثل عباس العقاد قصيدته (ترجمة شيطان) وعبد الرحمن شكري في قصيدته (المجهول) . كما فعل جبران خليل جبران في قصيدته الشهيرة (المواكب) .

وعلى أية حال فإن هذا الاتجاه التأملي ، قد شكل في شعر جماعة أبولو ظا ملحوظة ، بما اضفى عليها من مواقفه النفسية وتأملاته الفلسفية . وبذلك نق القصيدة التأملية الى أدبنا العربي ، كما كان لها شأن لدى العديد من شعرا القدامى .

Scanned by TapScanner

الشعر الرومانتيكي العالمي كله اتجاها متميزا ملحوظا بتلك الاصالة . ولنا في ماتركه شاتو بريان وورد زورث وأمثالهما من شعراء البحيرة نماذج انسانية كتب لها الخلود .

وشعر الطبيعة في أدبنا العربي ، قديم قدم الأدب نفسه ، شعراء أبولو قد تناولوه تناولاً جديداً . حين حققوا الصلة بين مظاهر الطبيعة وبين نفوسهم ، استوحوا هذه المظاهر تعبيراً عن حالاتهم النفسية المختلفة ، بل أنهم ماوصفوا طبيعة الاّ لكي يعبروا بها عن حالاتهم ومواقفهم .

وفي هذا الاتجاه ، رسموا الصور الجديدة . وحققوا المعاني المبتكرة ، وبنوا قصائدهم بناء خاصاً يتفق مع تجاربهم الشعورية .

وعلى الرغم من أن قرائح شعرائهم قد تدفقت في موضوع وصف الطبيعة ، الاّ أن زعيمهم أبا شادي ، يقف في موقع القمة بينهم . حتى أن أحد الدارسين ، قد جمع قصائده الوصفية في كتاب اسماه (الريف في شعر أبي شادي)(١٢) .

وهذه القصائد تعكس موقف الشاعر من الريف الذي أعجب به . وأنشد الى مظاهره الطبيعية ، كما أعجب بابنائه وبنشاطهم وحيويتهم .

وموقف شعراء أبولو من الطبيعة . متفق مع مواقف كل شعراء الرومانتيكية الاوربية والعربية فهم لم يجعلوا من هذا الوصف غاية ينتهون اليها ، وانما هي وسيلة للتعبير عما تجيش به خواطرهم . ويختلج في نفوسهم . وربما لجأوا اليها للتخفيف من أعباء مجتمعهم الذي قسا عليهم ووقف بينهم وبين تحقيق أحلامهم وتجسيد طموحاتهم . لذلك لم يجدوا خيراً من الطبيعة ينشدون في ظلالها السلون والعزاء ، ويبثونها احزانهم ، ويناظرون بين مناظرها ومشاعرهم . فحديثهم عن هيجان البحر ، أرادوا به تجسيد مايضطرب في نفوسهم من ثورة وتمرد ، ونشدانهم فصل الخريف قد صوروا به مرض نفوسهم وأفول حياتهم .

ومن هنا كان ولعهم بوصف الطبيعة اذ (أصبحت الحرم المقدس الذي يلجأون اليه في ابتهالات روحية ضارعة . فوجدوا في أحضانها زاداً ورحمة وحناناً لايكاد يخلو شعر واحد منهم من ذلك الغناء الروحي الخالص للطبيعة ، التي تكون في كثير من الاحيان متنفساً لأحزان النفس وتعويضاً عن فشل في التكيف مع واقع الحياة وصراعات المجتمع ودنيا الناس)(١٣) . وخير مايمثل هذا الغناء الروحي الخالص

Scanned by TapScanner

حالته النفسية
واحساسا بتفاهة الحياة . يقول مناجياً البحر

قلت للبحر اذ وقفت مساء كم أطلت الوقوف أيها البحر
انما يفهم الشبيه شبيها نحن لسنا
انت عات ونحن حرب الليالي مزقتنا وصهرتنا
وعجيب اليك يحت وجهي اذ مللت الحياة
ويح دمعي وويح ذلة نفسي لم تدع لي أحداً

مظاهر التجديد في الشكل

مضت جماعة أبولو في طريق التجديد الشعري أسوة بما فعلته جماعة
ولقد رأينا كيف عمق شعراء الجماعة ، مضمون القصيدة العربية الحديثة ،
عنايتهم الفائقة ، خصوصاً في اتجاهاتهم العاطفية والتأملية والوصفية . و
حصيلة هذا كله ، تجديد شكل القصيدة . كما هو الحال في مضمونها

وأول مظاهر هذا التجديد كان في تطويع اللفظة والعبارة . وفي صياغ
لعمق تجاربهم التي لم تتسع لها اللغة المباشرة . لذلك سعوا الى ابتكار الل
الموحية والصور الظليلة ، التي تختلف في دلالاتها عن الدلالات السابقة

وقد تميزت هذه الألفاظ بالرشاقة والحيوية ، فاذا بالقصيدة (تحتشد بالأض
والظلال والسكون المشمس والعطر المفضض والشفق السحري . والليل الأ
والنور الهادىء والخواطر المذعورة . كما رأينا في قصائدهم الكثير من الأ
الأعجمية)(١٤)

وعلى الرغم من أن شعراء أبولو قد سبقوا في مجال البحور . الا أنهم
وراء من سبقوهم ، توسعا لمظاهر التجديد في العروض . حتى صارت تشكل
شعرهم ظاهرة وفي هذا المجال نشير الى مزجهم البحور المختلفة في القصي
الواحدة ، وتحرروا من القافية الموحدة . والتزموا الشعر المرسل . ونسجوا
غرار الموشحات .

ويقف أبو شادي في مقدمة الذين جددوا في بحور القصيدة . سواء في وزنها
قافيتها أو حتى في طريقة كتابتها .

---

(١٤) جماعة أبولو / ٢٣

وتفنن في استعمال التفاعيل ، اذ استخدم في قصائده تفعيلة واحدة في الشطر الأول ومثلها في الشطر الثاني ثم يبني القصيدة كلها على هذا الوزن ، كقوله على سبيل المثال :

يا أمل يا أمل
يا هوى من عمل
يا حلى للبطل
يا قوي في الجلل الخ القصيدة .

وقد بنى جماعة ابولو بعض قصائدهم من بحور مختلفة على طريق الشعر الحر ، وتخلوا في هذه القصائد عن القافية الرتيبة ، وتفننوا في ترتيب التفاعيل .
وللشاعر خليل شيبوب محاولات في هذا الترتيب ، ومثلها لأبي شادي .

أما أبو القاسم الشابي ، فقد نظم قصيدته المشهورة التي يقول فيها :

أسكتي يا جراح واسكني يا شجون
مات عهد النواح ورمان الجنون

على غرار الموشحات .
ولابراهيم ناجي محاولات مماثلة للقصيدة الموشحة .
أما الشعر المرسل ، الذي سبق اليه شعراء جماعة الديوان ، فقد سعى جماعة أبولو الى النظم فيه وخاصة أحمد زكي أبو شادي .

ولقد اندفع هؤلاء الشعراء في طريق تجديد عروض القصيدة وقافيتها ، أكثر ممن سبقوهم ، حتى وصلوا الى حد التخلي عنها ، لينتظم لهم ما أسموه (بالشعر المنثور) .

ونحن وان كنا نقر هذه المحاولات في باب التجديد ، الاّ اننا نرى أن هذا اللون من البناء لم يمثل لديهم أصالة ، بقدر ماكان يحقق جرياً وراء محاولات الشعراء الاوربيين ، لان (النثر الفني) يمكن ان يقوم مقام هذا الذي أسموه (بالشعر المنثور) ولكن رغم هذا ، فان محاولاتهم في هذا الميدان قد سجلت لهم السبق على غيرهم ، أو انها أصبحت ظاهرة فنية في شكل القصيدة عندهم .

* * * * *

Scanned by TapScanner

على ان هذا التجديد الشكلي في شعرهم وان شكل ظاهرة فنية، الاّ أنه لم يصل في مستواه الفني، كما وصل في أسلوبهم الشعري. وأعني به (القصص الشعري) و (الشعر التمثيلي)، فقد نظم كثير منهم قصصاً شعرياً يرتفع في مستواه الفني الى درجة محمودة.

ومن هؤلاء عثمان حلمي في (قصة البخت النائم) واحمد زكي أبو شادي في (دنيال في جب الاسود) ومختار الوكيل في (الدخيل المعتدي) وعامر البحيري في (في ظلامه السدّ)

أما في مجال الشعر التمثيلي، فقد ترك شعراء أبولو أكثر من نموذج، من ذلك (حديث الآلهة) لمحمد سعيد السحراوي. و (عادة المحيط) لعبدالغني الكتبي. و (موجان) لصالح جودة. وترجم عامر بحيري مشهداً من مسرحية (ماكبث) لشكسبير[١٥].

وهذه النماذج من القصص الشعري والشعر التمثيلي، ونماذجهم في كتابة القصيدة الحرة والمرسلة والمزدوجة والمنثورة، هي التي سجلت لهم مواقف ريادية في مجال تجديد القصيدة الحديثة. صحيح ان معظم هذه النماذج قد سبقوا اليها، الاّ ان تلك المحاولات السابقة كانت فردية، أو انها كانت قليلة بحيث لم تشكل ظاهرة فنية.

وهذا يدل على ان مساعيهم الى التجديد في شكل القصيدة، لم تكن أقل من محاولاتهم في تجديد مضمونها. لذلك عدّ شعراء أبولو من أشد الشعراء المحدثين تحفيزاً للاشكال الجديدة في القصيدة العربية الحديثة وبنائها.

وليس هذا كل شيء في محاولات الجماعة، فقد راح أحمد زكي أبو شادي يجرب حظه في كتابة الاوبريت، فكتب منها، أربعاً، هي (احسان) و (أردشير وحياة النفوس) و (الزباء) و (الآلهة) وقد استمد مادتها من التاريخ، فيما عدا (الآلهة) فهي أوبرا رمزية. وأخيراً، لابد ان يسجل لجماعة أبولو عنايتهم الفائقة بتحقيق الوحدة العضوية.

وصحيح ان هذه الظاهرة - التي نعتقد انها من أعظم الظواهر الفنية التي حققها الشعر الحديث - قد سبق اليها جماعة الديوان وخليل مطران. الاّ انها لم تصبح ظاهرة متميزة تمتلك العمق والنضج والتعميم المتكامل، الاّ لدى شعراء هذه الجماعة، على الرغم من أن العقاد هو اعظم من نظر لها وقعّد مفهومها.

Scanned by TapScanner